

هاروت وماروت كما وردت في القرآن الكريم

(من خلال تفسير ابن جرير الطبري -ت ٣١٠هـ - المسمى جامع البيان في تفسير آي القرآن)

دكتور

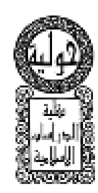
سناء بنت عبد الرحيم بن عبد اللّه حلواني

أستاذ مساعد بقسم الكتاب والسنة

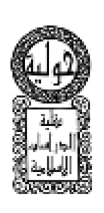
بكلية الدعوة وأصول الدين

بجامعة أم القرى

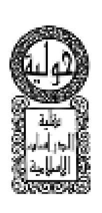


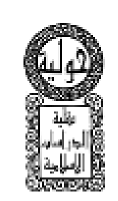












المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

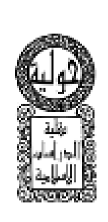
أما بعد:

فإن قصة هاروت وماروت أعتبرها بعض علماء التفسير من مشكل القرآن، لاختلاف أقوال المفسرين في تفسيرها وبيان المعنى المراد من الآية.

أما إمام المفسرين ابن جرير الطبري فقد كان له منهج قويم في بيان المعنى المراد من الآية مستنبطاً من الروايات الواردة عن السلف ومستشهداً بأشعار العرب وأقوالهم على المعنى الذي أراد أثباته وتوضيحه، وبعد قراءة تفسيره، وإمعان النظر في الروايات التي ساقها، وفهم المعنى المراد منها، وكيفية استنباطه للمعاني وبيانها وتوضيحها، وتحليلها، إذ الفهم مقدّم على النقد، ولا بدّ من تجريد العواطف في المسائل العلمية؛ عزمت على الكتابة في هذا الموضوع وبيان منهج الطبري في تفسير قصة هاروت وماروت .

وقد قال أحمد شاكر عن منهج الطبري: تبيَّن لي ممّا راجعته من كلام الطبري، أن استدلال الطبري بهذه الآثار التي يرويها بأسانيدها، لا يُراد به إلا تحقيق معنى لفظٍ، أو بيان سياق عبارة.... وهذا مذهب لا بأس به في الاستدلال، ومثلُه أيضاً ما يسوقه من الأخبار والآثار التي لا يُشكُّ في ضعفها، أو كونها من الإسرائيليات، فهو لم يسُقْها لتكون مهيمنة على تفسير آيّ التنزيل الكريم، بل يسوقُ الطويلَ الطويل لبيان معنى لفظٍ، أو سياق حادثةٍ، وإن كان الأثر نفسه مما لا تقوم به الحجة في الدين، ولا

في التفسير التام لآيِّ كتاب الله.(١)

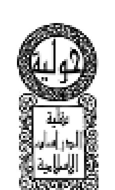


هذا وأسأل الله العلي العظيم أن أكون قد وفقت في كتابة الموضوع، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمن نفسي والشيطان وأسأل الله المغفرة من الزلل إنه كان غفاراً.

قال الله تعالى :

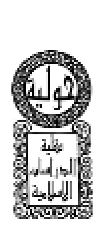
(وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا

(١) (٤٥٣/١)



تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا
يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
مِنۡ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ وَلَوۡ
أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ
يَعۡلَمُونَ).

أولاً :- سبب نزول قوله تعالى : (وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ) .



ذكر ابن جرير الطبري قولان في سبب نزول قوله تعالى : (وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ)

القول الأول: أن الآية نزلت في اليهود الذين كانوا في المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القول الثاني: أن الآية نزلت في اليهود الذين كانوا على عهد سليمان عليه السلام.

ثمّ ساق الروايات في ذلك فذكر :

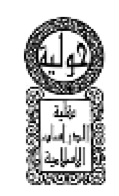
أولاً: رواية الربيع

عن الربيع، قالوا : إن اليهود سألوا محمد صلى الله عليه وسلم زماناً عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوه عنه، فيخصِمهم. فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منّا! وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله جل وعز : (وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ)(١)

ثانياً: رواية ابن زيد

قال ابن زيد في قوله تعالى : (وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ)**، قال : لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً لما معهم،** (نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ) **قال : اتَّبعوا السحر، وهم**

(١) (١٦٥٠)



أهل الكتاب. فقرأ حتى بلغ (وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ)(١)

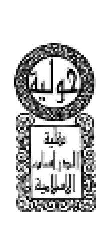
وهاتان الروايتان تدلان على أن الآية نزلت في اليهود الذين كانوا في المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة، فكان القرآن موافقاً لما جاء في التوراة.

ثالثاً: رواية ابن إسحاق

قال ابن إسحاق : عمدت الشياطين حين عَرَفت موت سليمان بن داود عليه السلام، فكتبوا أصناف السحر: "من كان يحبّ أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا". حتى إذا صنعوا أصناف السحر، جعلوه في كتاب ثم ختموا عليه بخاتم على نقش خاتم سليمان، وكتبوا في عنوانه: "هذا ما كتب آصف بن برخيا الصَدِيق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم" ثم دفنوه تحت كرسيه. فاستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا: ما كان سليمان بن داود إلا بهذا! فأفشوا السحر في الناس وتعلّموه وعلّموه، فليس في أحد أكثر منه في يهود. فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما نزل عليه من الله، سليمان بن داود وعدَّه فيمن عدَّه من المرسلين ، قال من كان بالمدينة من يهود: آلا تعجبون لمحمد! يزعم أن سليمان بن داود كان نبيّاً، والله ما كان إلا ساحراً! فأنزل الله في ذلك من قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم: :(وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ

(١) (١٦٥١)

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ (١)



ورواية ابن إسحاق هذه تدل على أن المقصود باليهود هم الذين كانوا على عهد سليمان.

ثانياً :- مناسبة الآية لما قبلها .

أبدع الطبري في ربط الآية بالآيات السابقة التي تحدثت عن اليهود ، ونظر إلى سياق الآيات وبيّن التناسق بينها .

فقال رحمه الله تعالى: الفريق من أحبار اليهود وعلمائها، الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى، وراء ظهورهم، تجاهلاً منهم وكفراً بما هم به عالمون، كأنهم لا يعلمون. فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزَّل من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم، ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه، وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه، وذلك هو الخسار والضلال المبين. (٢)

ثالثاً :- الضمير في (وَٱتَّبَعُواْ) يعود على من ؟

ذكر ابن جرير قولان في عود الضمير في قوله تعالى: (وَٱتَّبَعُواْ): -

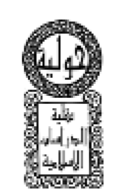
القول الأول: يعود الضمير على أسلاف اليهود.

القول الثاني: يعود الضمير على اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) (١٦٥٣) وذكر الواحدي في أسباب النزول روايات قريبة منها (٣٥/٣٦).

(٢) (٤٨٩/١) .



ورجح ابن جرير كلا القولين جمعاً بين الروايات، فالآية تشمل اليهود الذين كانوا على عهد سليمان عليه السلام وفيها تشنيع على اليهود الذين كانوا بين ظهراني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لأن الآية عامة وتشمل الجميع، وفيها توبيخ لليهود الذين كانوا على عهد رسول الله ، وتشنيع على أسلافهم .

فالطبري هنا سلك قاعدة (العموم) لأنه لم يرد في الآية ولا في الروايات مخصصاً يرجع إليه . وقد ذكر رحمه الله منهجه في مقدمة الكتاب بأنه يذكر علل الترجيح فقال: (ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه منه، واختلافها فيما اختلفت فيه منه. ومُبيّنو عِلل كل مذهب من مذاهبهم، ومُوضِّحو الصحيح لدينا من ذلك) (١)

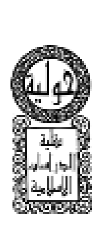
ثم قال رحمه الله تعالى بعد ذكره الأقوال والروايات الواردة في المسألة:

والصواب من القول: أن ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجحدوا نبوته، وهم يعلمون أنه لله رسولٌ مرسلٌ؛ وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله، وهجرهم العمل به، وهو في أيديهم يَعْلَمونه ويعرفون أنه كتاب الله، واتّباعهم واتِّباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين في عهد سليمان...

ثم بيَّن علة الترجيح عنده بقوله : وإنما اخترنا هذا التأويل، لأن المتَّبِعة ما تلته الشياطين، في عهد سليمان وبَعده إلى أن بعث الله نبيّه بالحق، وأمْر السحر لم يزل في اليهود. ولا دلالة في الآية أن الله تعالى أراد

---

(١) (٢٧/١)



بقوله: (وَٱتَّبَعُواْ) بعضاً منهم دون بعض. إذ كان جائزاً فصيحاً في كلام العرب إضافة ما وصفنا – من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله: (وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ) – إلى أخلافهم بعدهم، ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثرٌ منقول، ولا حجة تدل عليه. فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال : كل متّبِع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من اليهود، داخل في معنى الآية....) (١)

رابعاً :– ما الذي تلته الشياطين في قوله تعالى: (مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ).

استطرد الإمام ابن جرير الطبري في استيعاب الألفاظ المفردة فذكر جميع المعاني الواردة في كلمة (*تتلوا*) من باب زيادة البيان وتوضيح المعنى ، فذكر لنا قولين :

القول الأول : تُحَدِّث، وتَروي، وتتكلم به وتخبر. نحو تلاوة الرجل للقرآن، وهي قراءته. ومعنى ذلك أن الشياطين هي التي علَّمت الناس السحر ورَوته لهم.

وعن مجاهد قال : كانت الشياطين تسمع الوحي، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مئتين مثلها. فأرسل سليمان إلى ما كتبوا من ذلك فجمعه. فلما توفي سليمان وجدته الشياطين، فعلّمته الناس، وهو السحر.(٢)

القول الثاني : ما تتبعه وتأثمه وترويه وتعمل به .

عن ابن عباس قال: تتبع.(٣)

---

(١) (٤٩١/١-٤٩٢)

(٢) انظر روايات قتادة و عطاء و ابن عباس (١/ ٤٩٢)

(٣) (١/ ٤٩٢)



فابن جرير رحمه الله تعالى سلك قاعدة التجويز لأن القرآن أبهم ذلك ولم يرد في القران ولا في السنة مخصص له فدل على عمومه فيكون من باب المشترك ، لأن كلا المعنين محتمل، واستدل على جواز المعنين : بأقوال السلف، وكلام العرب .

ثم قال رحمه الله تعالى: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عن الذين أخبر عنهم أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين على عهد سليمان، باتباعهم ما تلته الشياطين.

ولقول القائل "هو يتلو كذا" في كلام العرب معنيان:

أحدهما: الاتّباع، كما يقال: "تلوت فلاناً" إذا مشيت خلفه وتبعتَ أثره، كما قال جل ثناؤه : (هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ) (١) يعني بذلك تتبع.

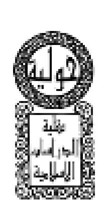
الثاني: القراءة والدراسة، كما تقول:: "فلان يتلو القرآن"، بمعنى : أنه يقرؤه ويدرسه، كما قال حسان بن ثابت:

نبيٌّ يَرى ما لا يَرى الناس حوْلهُ ويتلو كتاب الله في كل مشهد

ولم يخبرنا الله جل ثناؤه – بأيّ معنى "التلاوة" كانت تلاوة الشياطين الذين تلوا ما تلوه من السحر على عهد سليمان – بخبر يقطع العذر . وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية وعملاً، فتكون كانت متَّبعته بالعمل، ودراسته بالرواية. فاتبعت اليهود منهاجها في ذلك، وعملت به، وروَته. (٢)

(١) يونس : ٣٠

(٢) (١/ ٤٩٣)



خامساً :- معنى "على" في قوله تعالى: (عَلَىٰ مُلك سُلَيمَنَ) .

عمل ابن جرير الطبري بقاعدة تناوب حروف الجر ، فجعل (عَلَىٰ) بمعنى (في)

واستدل على قوله باستدلالين :

الاستدلال الأول: لغة العرب

فقال رحمه الله تعالى: يعني بقوله جل ثناؤه: (عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ) في ملك سليمان. وذلك أن العرب تضع "في" موضع "على"، و "على" في موضع "في". ومن ذلك قول الله جل ثناؤه: (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ)(١) يعني به : على جذوع النخل، وكما قالوا: "فعلت كذا في عهد كذا، وعلى عهد كذا" بمعنى واحد.

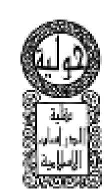
الاستدلال الثاني: أقوال السلف

استدل بروايتين عن ابن جريج وابن إسحاق، وهما من أتباع التابعين، فقالا : في ملك سليمان.(٢)

فكلام العرب وأقوال السلف يقوي القول بتناوب الحروف في هذا المقام .

(١) طه: ٧١

(٢) (١/ ٤٩٣)



سادساً :- تبرئة النبي سليمان بن داود عليه السلام من الكفر

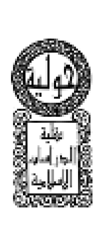
قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ .

هذه الآية اعتبرها كثير من العلماء من مشكلات التفسير

سليمان بن داود عليه السلام هو نبي الله، فما وجه نسبة الكفر إليه، ولماذا برّأه الله من ذلك ونسب الكفر إلى الشياطين ؟

قال ابن جرير: إنْ قال لنا قائل : وما هذا الكلام؟ ولا خبر معنا قَبْلُ عن أحد أنه أضاف الكفر إلى سليمان، بل ذكر أتْبَع من اتَّبع من اليهود ما تلته الشياطين؟ فما وجه نفي الكفر عن سليمان، بعقب الخبر عن اتباع من اتبعت الشياطين في العمل بالسحر وروايته من اليهود؟

قيل: وجه ذلك، أن الذين أضاف الله جلّ ثناؤه إليهم اتّباع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر من اليهود، نسبوا ما أضافه الله تعالى ذكره إلى الشياطين من ذلك، إلى سليمان بن داود. وزعموا أن ذلك كان من عِلْمِه وروايته، وأنه إنما كان يستعبد من يستعبد من الإنس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر.... وأنكروا أن يكون سليمان لله رسولاً، وقالوا: بل كان ساحراً! فبرَّأ الله سليمان بن داود من السحر والكفر عند من كان منهم ينسبه إلى السحر والكفر، لأسباب ادعوها عليه، وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر ومتزينين عند أهل الجهل في عملهم ذلك، بأن سليمان كان يعمله. فنفى الله عن سليمان عليه السلام أن يكون كان ساحراً أو كافراً، وأعلمهم أنهم إنما اتبعوا – في عملهم بالسحر – ما تلته الشياطين في



عهد سليمان، دون ما كان سليمان يأمرهم من طاعة الله، واتباع ما أمرهم به في كتابه الذي أنزله على موسى صلوات الله عليه.

ثم أردف الطبري كلامه بذكر العديد من الروايات عن سعيد بن جبير و ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وشهر بن حوشب، وابن إسحاق (١)،نذكر منها رواية سعيد بن جبير:

عن سعيد بن جبير قال: كان سليمان يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر، فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته. فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم: تريدون العلم الذي كان سليمان يسخِّر به الشياطين والرياح وغير ذلك ؟ قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه. فاستثارته الإنس فاستخرجوه فعملوا به. فقال أهل الحجا: كان سليمان يعمل بهذا، وهذا سحر! فأنزل الله براءة سليمان على لسان نبيه عليهما السلام(٢).

- *تأخر براءة سليمان عليه السلام جعل الناس يَشُكّون هل سليمان كان كافراً أم لا .*

هنا اثبات قضية مهمة وهي براءة سليمان عليه السلام من السحر والكفر

ساق الطبري مجموعة من الروايات (٣) في هذا المقام ثم علق بقوله : أراد الله أن يبرء سليمان عليه السلام مما نحلوه وأضافوه مما كانوا وجدوه إما في خزائنه ، وإما تحت كرسيه، على ما جاءت به الآثار.

---

(١) (الروايات من ١٦٦٢ ـ ١٦٧٠).

(٢) (١٦٦٢)

(٣) (١٦٦٢- ١٦٧٠)

فحصر الخبر عما كانت اليهود اتبعته، فيما تلته الشياطين أيام سليمان دون غيره لذلك السبب، وإن كانت الشياطين قد كانت تالية للسحر والكفر قبل ذلك .

- *ما وجه نفي الكفر عن سليمان؟*

قال ابن جرير: فبيِّن أن في الكلام متروكاً، تُرك ذكره اكتفاءً بما ذكر منه، وأن معنى الكلام : واتبعوا ما تتلو الشياطين من السحر على ملك سليمان، فتضيفه إلى سليمان، وما كفر سليمان، فيعمل بالسحر، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر.

واستشهد بقول قتادة في تأويل الآية، فقال قتادة: ما كان عن مشورته ولا عن رضا منه، ولكنه شيء افتعلته الشياطين دونه.(١).

- *هل كان السحر موجوداً قبل سليمان ؟*

نعم كان السحر موجوداً قبل سليمان وذُكر في مواطن عديدة من القرآن منها: موقف موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة.

قال ابن جرير الطبري: بلى؛ قد كان ذلك قبل ذلك، وقد أخبر الله تعالى عن سَحَرَة فرعون ما أخبر عنهم، وقد كانوا قبل سليمان، وأخبر عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح إنه ساحر.(٢)

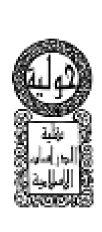
سابعاً :- تأويل "ما" في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ .

ذكر لنا ابن جرير أربعة أقوال واردة عن السلف في تأويل : ﴿مَا﴾ في

---

(١) (٤٩٦/١)

(٢) (١/ ٤٩٦-٤٩٧)



قوله تعالى: (وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ): -

القول الأول : (ما) بمعنى (لم) وهذا المعنى ورد عن :

ابن عباس، قال : لم ينزل الله السحر(١)

و الربيع بن أنس قال أيضاً: ما أنزل الله عليهما السحر (٢)

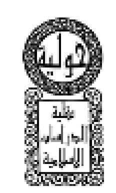
ثم ذكر ابن جرير الطبري وجه القول وعلته ووجه تقديمه فقال:

فتأويل الآية : لم ينزل على الملكين : واتبعوا الذي تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان، ولا أنزل الله السحر على الملَكين، ولكنَّ الشياطين كفروا يُعلِّمون الناس السحر، (بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ) فيكون قوله: (بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ) من المؤخّر الذي معناه التقديم . ووجه التقديم أن يقال: واتَّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلِّمون الناس السحر ببابل، هاروت وماروت. فيكون معنياً بـــ الملكين : جبريل وميكائيل، لأن سحرة اليهود، فيما ذُكِر، كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبهما الله بذلك، وأخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرّأ سليمان مما نحلوه من السحر، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأنها تُعَلَّم الناس ذلك ببابل، وأن الذين يُعلّمانهم ذلك رجلان: اسم أحدهما هاروت، والآخر ماروت.

---

(١) (١٦٧٣)

(٢) (١٦٧٤)



فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل، ترجمة على الناس ورداً عليهم.[1].

القول الثاني : تأويل (مَآ) بمعنى (الذي)

جاءت الروايات بهذا المعنى عن :

ابن عباس، وقتادة، والسدي، وابن زيد [2].

قال أبو جعفر فيكون تأويل الآية : واتبعت اليهود الذي تلت الشياطين في مُلْك سليمان، والذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وهما ملكان من ملائكة الله .

القول الثالث : معنى (مَآ) معنى (الذي)، وهي عطف على (مَآ) الأولى. غير أن الأولى في معنى السحر، والآخرة في معنى التفريق بين المرء وزوجه .

فيكون تأويل الآية على هذا القول: واتبعوا السحر الذي تتلو الشياطين في ملك سليمان، والتفريق الذي بين المرء وزوجه، الذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت.

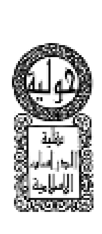
وهذا المعنى رواه مجاهد، بقوله: وهما يعلمان ما يفرقون به بين المرء وزوجه. وذلك قول الله جل ثناؤه: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ). وكان يقول: أما السحر، فإنما يعلمه الشياطين،

---

(١) (١/ ٤٩٧)

(٢) (الروايات من ١٦٧٥ إلى ١٦٧٩)

وأما الذي يعلم الملكان، فالتفريق بين المرء وزوجه، كما قال تعالى[١].



القول الرابع : جائز تأويل (مَآ) بمعنى (الذي) ، وجائز أن تكون (مَآ) بمعنى (لم)

سُئل القاسم بن محمد عن قول الله تعالى : (وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ) فقيل له: أنزل أم لم يُنزل؟ قال القاسم: لا أبالي أيُّ ذلك كان، إلا أنّي آمنت به[٢].

وبعد أن بيّن ابن جرير جميع الأقوال واستوعب جميع الحجج رجّح أن (مَآ) بمعنى الذي

فقال رحمه الله تعالى : والصواب من القول عندي قول من وجّه (مَآ) التي في قوله : (وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ) إلى معنى (الذي) دون معنى (مَآ) التي هي بمعنى الجحد .

وأن هاروت وماروت مترجم بهما عن الملكين، ولذلك فتحت أواخر أسمائهما، لأنهما في موضع خفض على الرد على الملكين، ولكنهما لما كانا لا يُجرَّن، فُتحت أواخر أسمائهما.

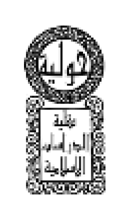
ثم بين تعليله للقول الذي اختاره بقوله :

وانما اخترت ذلك، من أجل أن (مَآ) إن وجهت إلى معنى الجحد، تنفي عن الملكين أن يكونا مُنْزلاً إليهما، ولم يخل الإسمان اللذان بعدهما – هاروت و ماروت – من أن يكونا بدلاً منهما وترجمة عنهما أو بدلاً من

---

(١) (١٦٨٠)

(٢) (١٦٨٢)



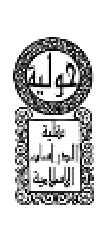
الناس في قوله: (يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ) وترجمة عنهما. فإن جعلا بدلاً من الملكين وترجمة عنهما، بطل معنى قوله: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ) ......

ثم وضّح فساد جميع الأقوال ودلل على ذلك .....

فإن التبس على ذي غباء ما قلنا فقال: وكيف يجوز لملائكة الله أن تُعَلِّم الناس التفريق بين المرء وزوجه؟ أم كيف يجوز أن يضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزالُ ذلك على الملائكة؟

قيل له: إن الله جلَّ ثناؤه عرَّف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه، ثم أمرهم ونهاهم بعد العِلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه، ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنىً مفهوم. فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون جلَّ ثناؤه علَّمه الملَكين اللذين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم – كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلّم ذلك منهما (إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ) – ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر، فيُمحِّص المؤمن بتركه التعلُّم منهما، ويُخزي الكافر بتعلُّمه السحر والكفر منهما، ويكون الملِكان – في تعليمهما من علَّما ذلك – لله مطيعين، إذ كانا – عن إذن الله لهما بتعليم ذلك مَنْ علَّماه – يعلمان......[1]

(١) انظر كلامه (١/ ٤٩٩ - ٥٠١)



وكذلك ردَّ القراءة بالكسر (وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلِكَيۡنِ) ورجح القراءة بالفتح.

فقال: وحكي عن بعض القراء أنه كان يقرأ(وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلِكَيۡنِ)، يعني به رجلين من بني آدم، وقد دللنا على خطأ القراءة بذلك من جهة الاستدلال، فأما من جهة النقل، فإجماع الحجة – على خطأ القراءة بها – من الصحابة والتابعين وقُرَّاء الأمصار. وكفى بذلك شاهداً على خطئها.(١)

فابن جرير هنا أثبت المعنى الذي أراده ثم استشهد بالروايات العاضدة لفكره.

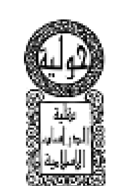
ثامناً :– إنزال الله للسحر وتعليمه لملائكته وتعليمهم للناس .

هل يجوز أن يُنَزِّل الله السحر، أم هل يجوز لملائكته أن تعلّمه الناس؟

قال ابن جرير: إن الله قد أنزل الخير والشر كله وبيَّن ذلك لعباده فأوحاه إلى رسله وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحل لهم مما يحرم عليهم وذلك كالزنا وشرب الخمر وجميع المعاصي .. وليس في العلم بالسحر أثم كما لا إثم في العلم بصنعة الخمر ونحت الأصنام ، وإنما الإثم في عمله وتسويته كذلك لا إثم في العلم بالسحر وإنما الإثم في العمل به وأن يُضر به من لا يحلُّ ضَره به .. فليس في إنزال الله إياه على الملكين ولا في تعليم الملكين من علماه من الناس إثم إذ كان تعليمهما من علّماه

---

(١) (١/ ٥٠٤) أراد الطبري إثبات قضية كلية لذلك ساق جميع الروايات (الحجج) بعد أن قرر المعنى، دون النظر إلى التفاصيل الدقيقة في الروايات، وقد كانت هذه الروايات متداولة في عصره ولم ينكر عليه أحد منهم.



ذلك بإذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بأنهما فتنة وينهياه عن السحر والعمل به والكفر وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به إذا كان الله تعالى قد نهاه عن تعلمه والعمل به ..... (١).

تاسعاً :- الزهرة لها شأن عند بني ادم، وهي رمز للمرأة

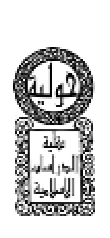
عن سالم أنه سمع عبد الله بن عمر يُحدِّث عن كعب الأحبار أنه حدَّثَ: أن الملائكة أنكروا أعمال بني آدم وما يأتون في الأرض من المعاصي، فقال الله لهم: إنكم لو كنتم مكانهم أتيتم ما يأتون من الذنوب، فاختاروا منكم ملكين. فاختاروا هاروت وماروت، فقال الله لهما: إني أُرسل رسلي إلى الناس، وليس بيني وبينكما رسول، أنزلا إلى الأرض، ولا تُشركا بي شيئاً، ولا تزنيا. فقال كعب: والذي نفس كعب بيده، ما استكملا يومَهما الذي نزلا فيه حتى أتيا ما حرَّم الله عليهما.(٢)

وعن نافع قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع انظر، طلعت الحمراء؟ قلت: لا – مرتين أو ثلاثاً – ثم قلت: قد طلعت! قال لا مرحباً ولا أهلاً! قلت: سبحان الله، نجم مسخّر سامع مطيع! قال: ما قلت لك إلا ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه

---

(١) (١/ ٤٩٨-٤٩٩) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا مَلَكين من السماء، وأنهما أُنزلا إلى الأرض، فكان من أمرهما ما كان، وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة أن هذين سبق في علم الله لهما هذا، فيكون تخصيصاً لهما فلا تعارض حينئذ كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق، مع أن شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف مما وقع من إبليس عليه لعنة الله

(٢) (١٦٨٨)



وسلم، وقال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الملائكة قالت: يا رب، كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك! قال: فاختاروا ملكين منكم. قال: فلم يألوا أن يختاروا، فاختاروا هاروت وماروت)(١)

ذكر ابن جرير عدداً من الروايات عن : ابن عباس، ابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، والسدي، والربيع بن أنس، ومجاهد.(٢)

---

(١) (١٦٩١) وقال الحافظ ابن كثير: وهذا غريب جداً، وأقرب ما يكون من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) (الروايات من ١٦٨٤ إلى ١٦٩٢) .

و ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره رواية الزهرة مطولة بسند صحيح عن مجاهد (١/١٩٠-١٩١)(١٠٠٧)

وروى عبدالرزاق في تفسيره رواية عن ابن عباس قال: أن المرأة التي فُتِنَ بها الملكان مسخت فهي هذه الكوكب الحمراء يعني الزهرة.(١/٢٨٣)

وذكر الثعلبي في تفسيره: اسمها بالفارسية ناهيد، وبالنبطية بيذخت ويدل على صحة هذا القول ما رواه جابر عن الطفيل عن علي قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى سهيلاً قال: لعن الله سهيلاً إنه كان عشاراً باليمن، ولعن الله الزهرة فإنها فتنت الملكين. (١/٢٤٦-٢٤٧)

وذكر الحاكم في المستدرك روايتين: الأولى: عن علي رضي الله عنه أنه كان يخبر القوم أن هذه الزهره تسميها العرب الزهرة و، وتسميها العجم أناهيد....

وأما الثانية: عن ابن عباس قال: كانت الزهرة إمرأة في قومها يقال لها بيدحة. ثم قال معلقاً: وهذان الإسنادان صحيحان على شرط الشيخين، والغرض في إخراج الحديثين ذكر هاروت وماروت وما سبق من قضاء الله
= ⇦



قال ابن حجر في العجاب :لو لم يَرِد في ذلك غير هاتين الروايتين لسلَّمت أن رواية سالم أولى من رواية نافع لكن جاء ذلك من عدة طرق عن ابن عمر ثم من عدة طرق عن الصحابة، ومجموع ذلك يقضي بأن للقضية أصلاً أصيلاً والله أعلم.(١)

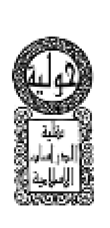
وقال: تنبيه: طعن في هذه القصة من أصلها بعض أهل العلم ممن تقدّم، وكثير من المتأخرين، وليس العجب من المتكلم والفقيه إنما العجب ممن ينتسب إلى الحديث، كيف يطلق على خبر ورد بهذه الأسانيد القوية مع كثرة طرقها أو تباين أسانيدها أنه باطل أو نحو ذلك من العبارة مع دعواهم تقوية أحاديث غريبة، أو واردة من أوجه لكنها واهية، واحتجاجهم بها والعمل بمقتضاها. (٢)

وقال أيضاً : في طرق هذه القصة القوي والضعيف ولا سبيل إلى ردّ الجميع فإنه ينادي على من أطلقه بقلة الاطلاع والإقدام على ردّ ما لا يعلمه، لكن الأولى أن ينظر إلى ما اختلفت فيه بالزيادة والنقص فيؤخذ بما اجتمعت عليه، ويُؤخذ من المختلف ما قوي، ويُطرح ما ضعف، أو ما اضطرب فإنّ الاضطراب إذا بَعُدَ به الجمع بين المختلف ولم يترجح

فيهما وللزهرة. وقال الذهبي: صحيح. (١١٤٥/٣)(٣٠٥١-٣٠٥٢).

(١) (٣٢٦/١-٣٢٧) وقد فصَّل في ذكر طرق الروايات وأقوال أهل العلم فيها فأجاد وأفاد.

(٢) (٣٣٢/١-٣٣٣). وقال في القول المسدد: وله طرق كثيرة جمعتها في جزء مفرد، يكاد الواقف عليه أن يقطع بوقوع هذه القصة لكثرة الطرق الواردة فيها، وقوة مخارج أكثرها والله أعلم.



شيء منه التحق بالضعيف المردود، والله المستعان.(١)

عاشراً :

- *أين تقع بابل ؟*

اختلف أهل التأويل في بابل؛ هل هي اسم قرية أو موضع من مواضع الأرض .

وذكر ابن جرير قولين لأهل التأويل، هما:

القول الأول: إنها بابل دُنْباوَند، قاله السدي

القول الثاني: بابل العراق، واستدل برواية عائشة عن المرأة التي قدمت المدينة، وكانت قد تعلمت السحر من هاروت وماروت.(٢)

- *المقصود بالفتنة*

قال تعالى: (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)

الفتنة بالمعنى اللغوي لها عدة معاني، وفي هذا الموطن معناها الابتلاء والاختبار، لأن سياق الآية يدل عليه.

قال أبو جعفر: وتأويل ذلك: وما يُعلِّم الملكان أحداً من الناس الذي أنزل عليهما من التفريق بين المرء وزوجه، حتى يقولا له: إنما نحن بلاء وفتنة لبني آدم، فلا تكفر بربك.

واستدل على أن المعنى المراد به في هذا الموطن الابتلاء والاختبار، باستدلالين:

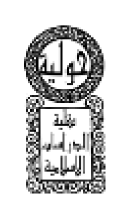
الاستدلال الأول: أقوال السلف

---

(١) العجاب في بيان الأسباب (٣٤٣/١)

(٢) (١٦٩٤) بابل هي أحدى المحافظات الواقعة في وسط العراق جنوب العاصمة بغداد

الاستدلال الثاني: أشعار العرب وأقوالهم



أولاً: أقوال السلف:

١- رواية السدي، قال: إذا أتاهما – هاروت وماروت – إنسان يريد السحر، وعظاه وقالا له: لا تكفر، إنما نحن فتنة! فإن أبى، قالا له: ائت هذا الرماد فَبُلْ عليه، فإذا بال عليه خرج منه نور يسطع حتى يدخل السماء – وذلك الإيمان، وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء منه، فذلك غضب الله. فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر. فذلك قول الله: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)(١)

٢- رواية قتادة والحسن : أخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحداً حتى يقولا: (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)(٢)

ثانياً: أشعار العرب وأقوالهم:

قال الشاعر:

وقد فُتِنَ الناس في دينهم وخلّى ابنُ عفانَ شرّاً طويلا

ومنه قوله: (فتنتُ الذهب في النار) إذا امتحنتها لتعرف جوْدَتها من رَدَاءتها، (أفتنها فِتنة وفُتوناً) واستدل بقول قتادة : (إنما نحن فتنة) أي بلاء (٣)

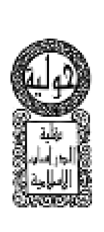
٣- ***التفريق بين المرء وزوجه***

---

(١) (١٦٩٩) ورواية عائشة أيضاً (١٦٩٨)

(٢) (١٧٠٠-١٧٠١)

(٣) (١٧٠٥)



قال تعالى: (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ)

عند النظر إلى الآية نجد أنها تحتمل معنيين:

الأول: أن الآية على ترتيبها في النظم وهو الأصل

فالفاء الفصيحة تدل على محذوف وقدّر ابن جرير المحذوف بقوله: فمعنى الكلام إذاً: وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة، فيأبَوْن قَبول ذلك منهما، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه.

الثاني: التقديم والتأخير

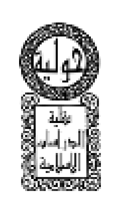
(فيتعلمون) خبر عن اليهود معطوف على قوله: (وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ)، (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ).

ثمّ قال ابن جرير: والذي قلنا أشبه بتأويل الآية: لأن إلحاق ذلك بالذي يليه من الكلام، ما للتأويل وجه صحيح، أولى من إلحاقه بما قد حيل بينه وبينه من معترض الكلام.

و(الهاء) و (الميم) و (الألف) من قوله: (منهما)، من ذكر الملكين. ومعنى ذلك: فيتعلَّم الناس من الملكين الذي يفرِّقون به بين المرء وزوجه.

فإن قال قائل: وكيف يفرِّق الساحر بين المرء وزوجه؟

قيل: قد دللنا على أن معنى السحر : تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته، فتفريقه بين المرء وزوجه : تخييله بسحره إلى كل واحد منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته، من حسن وجمال، حتى يقبِّحه عنده، فينصرف بوجهه ويُعرِض عنه، حتى يُحْدِث الزوج لامرأته فراقاً. فيكون الساحر مفرِّقاً بينهما بإحداثه السبب



الذي كان منه فُرْقَة ما بينهما.

ومن أساليب العرب إضافة الشيء إلى مُسبِّبه من أجل تسببه، وإن لم يكن باشَرَ ما حدث عن السبب، فكذلك تفريق الساحر بسحره بين المرء وزوجه.(١)

ثم ذكر رواية عن قتادة قال فيها: وتفريقهما: أن يُؤَخِّذ كل واحد منهما عن صاحبه، ويُبَغِّض كلَّ واحد منهما إلى صاحبه.(٢)

٤- *الضرر لا يكون إلا بإذن الله*

قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾

الإذن في هذا الموضع بمعنى: العلم بالشيء، يقال منه: (قد أذِنْت بهذا الأمر) إذا علمت به (آذن به إذْناً) ومنه قول الحطيئة:

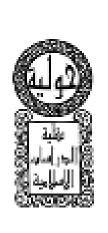
ألاَّ يا هندُ إنْ جَدَّدتِ وَصْلاً   وإلاَّ فَأْذَنيني بِانْصِرامِ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، وما المتعلِّمون من الملكين هاروت وماروت ما يُفرِّقون به بين المرء وزوجه، بضارين – بالذي تعلموه منهما، من المعنى الذي يفرقون به بين المرء وزوجه – من أحد من الناس إلاّ من قضى الله عليه أنّ ذلك يضره، فأما من دفع الله عنه ضرّه، وحفظه من مكروه السحر والنفث والرُّقَى، فإنّ ذلك غيرُ ضارّه، ولا نائله أذاه.(٣)

٥- *معنى الخلاق*

---

(١)(٥٠٧/١-٥٠٨)
(٢) (١٧٠٦)
(٣) (٥٠٩/١)



قال تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ)

هل المقصود به اليهود أم الشياطين؟

سياق الآية يدل على أن قوله: (وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ) معنيٌّ به اليهود، دون الشياطين، وهذا الذي أجمع عليه أهل التأويل على قول ابن جرير، فقال رحمه الله تعالى:

هم الفريق الذين لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلوا الشيطان على ملك سليمان، فقال جلّ ثناؤه: لقد علم النابذون – من يهود بني إسرائيل – كتابي وراء ظهورهم تجاهلاً منهم، التاركون العمل بما فيه من اتباعك يا محمد واتباع ما جئت به، بعد إنزالي إليك كتابي مصدقاً لما معهم، وبعد إرسالك إليهم بالإقرار بما معهم وما في أيديهم، المؤثرون عليه اتباع السحر الذي تلته الشياطين على عهد سليمان، والذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، لَمَنِ اشترى السحر بكتابي الذي أنزلته على رسولي فآثره عليه، مَاله في الآخرة من خلاق.(١)

ثم رجح معنى الخلاق في هذا الموضع : النصيب واستشهد:

أولاً: بقول النبي صلى الله عليه وسلم : (ليؤيِّدَنَّ اللهُ هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم) (٢)

يعني: لا نصيب لهم ولا حظ في الإسلام والدين.

ثانياً: أشعار العرب

(١) (١/ ٥١٠)

(٢)أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس (٢٧٣٧)



ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

يَدْعونَ بالوَيْلِ فيها لا خَلاقَ لهم   إلا سرابيلُ مِنْ قِطْرٍ وأغلال

ثم قال: فكذلك قوله: (مَا لَهُۥ فِى ٱلۡأَخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٍۚ) ماله في الدار الآخرة حظ من الجنة، من أجل أنه لم يكن له إيمان ولا دين ولا عمل صالح يجازى به في الجنة ويثاب عليه، فيكون له حظ ونصيب من الجنة، وإنما قال جل ثناؤه: (مَا لَهُۥ فِى ٱلۡأَخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٍۚ) فوصفه بأنه لا نصيب له في الآخرة، وهو يعني به: لا نصيب له من جزاءٍ وثواب وجنة دون نصيبه من النار، إذ كان قد دلّ ذمه جلّ ثناؤه أفعالهم – التي نفى من أجلها أن يكون لهم في الآخرة نصيب – على مراده من الخبر، وأنه إنما يعني بذلك أنه لا نصيب لهم فيها من الخيرات، وأما من الشرور فإن لهم فيها نصيباً.(١)

٦- *معنى المثوبة*

قال تعالى : (وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٌۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ)

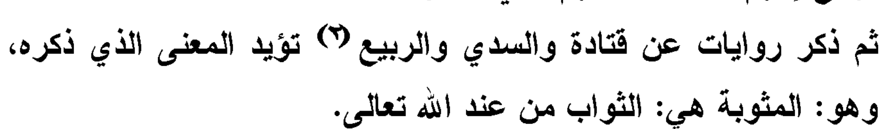
المثوبة في اللغة تأتي بمعنى: رجعته ورددته، وهذا المعنى هو الأشبه بسياق الآية.

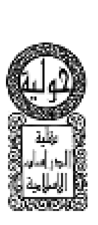
قال ابن جرير: المثوبة في كلام العرب مصدر من قول القائل: (أثبتك إثابة وثواباً ومثوبة) فأصل ذلك من: (ثاب إليك الشيء) بمعنى: رجع، ثم يقال: (أثبته إليك): أي، رجعته إليك ورددته. ومنه ثواب الله عز وجل عبادَه على أعمالهم، بمعنى: إعطائه إياهم العِوَض والجزاء عليه، حتى

---

(١) (١/ ٥١٢)

يرجع إليهم بدلٌ من عملهم الذي عملوا له.[١]





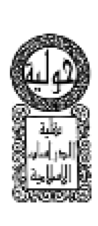
ثم ذكر روايات عن قتادة والسدي والربيع[٢] تؤيد المعنى الذي ذكره، وهو: المثوبة هي: الثواب من عند الله تعالى.

---

(١) (١/ ٥١٤)

(٢) (١٧٢٠ -١٧٢١ -١٧٢٢)





النتائج :

١- ابن جرير الطبري إمام المفسرين وكتابه عمدة في التفسير فهو إمام ثبت ضابط للأقوال ، دقيق في استنباط المعنى من الروايات.

٢- اعتمد على الإباحة في ذكر الروايات الإسرائيلية مستنداً إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)

٣- اعتمد ابن جرير في تفسير الآية على الروايات الواردة عن السلف في إثبات المعنى العام دون النظر إلى التفاصيل الدقيقة في الرواية فالاختلاف في تفاصيل بعض الروايات لا يؤثر على أصل المعنى.

٤- لم يناقش هذه الروايات في كتاب التاريخ ولكن ناقشها في كتاب التفسير لأن لها ارتباط بمعنى الآية.

٥- الرواية عن أهل الكتاب تعتبر مصدراً من مصادر التفسير عند الطبري.

٦- الروايات الواردة عن التابعين وأتباعهم حجة في التفسير بدليل ذكر أقوالهم واعتمادها.

٧- السحر ثبت شرعاً وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤثر على عصمته في التبليغ .

٨- في أغلب الأحيان يسلك الإمام الطبري قاعدة العموم اذا لم يرد ما يخصصها .

٩- يذكر قواعد في التفسير ومعظمها قواعد عقلية.

١٠- يستشهد كثيراً بأساليب العرب لأنها توضِّح وتُبيِّن المعنى المرتبط بالآية.

١١- يستشهد أيضاً بأشعار العرب ولغاتهم ليثبت المعنى الذي أراده.

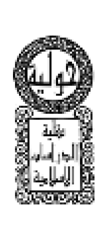


١٢- الرواية الإسرائيلية لا تؤسس المعنى المراد من الآية ولكن تثبته وتوضحه.

١٣- قرر قاعدة كلية : تأويل الخطاب على المفهوم الظاهر من الآية دون الخفي الباطن، إلى أن تأتي دلالة بمعنى يخالف الظاهر يجب التسليم لها.

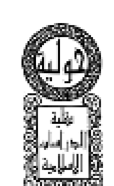
١٤- يعتمد كثيراً على أقوال السلف ويردّ الأقوال المخالفة لإجماعهم .

١٥- جعل الطبري معنى الآية مبنياً على أقوال السلف، فأقوال السلف أصلاً في معنى الآية عنده.

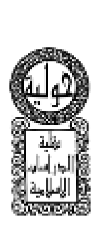


المصادر والمراجع

- الإستدلال في التفسير، دراسة في منهج الطبري، نايف الزهراني، ط: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض – المملكة العربية السعودية.
- أسباب نزول القرآن للواحدي، تحقيق ودراسة: كمال زغلول، ط: بدون، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
- البداية والنهاية لابن كثير، توثيق: علي محمد معوض وآخرون، ط: الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- تفسير الكشف والبيان للثعلبي، دراسة وتحقيق: أبو محمد بن عاشور، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان.
- التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، ط: بدون، دار سحنون، تونس.
- تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: محمود عبده، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، ط: الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، مكتبة: الباز، المملكة العربية السعودية
- تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما أُلحق به من الأباطيل وردئ الأقاويل لـ عبد القادر بن شيبة الحمد، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، حققه وخرج أحاديثه: الهيثمي والعسقلاني، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ ، المكتبة العصرية ، بيروت .

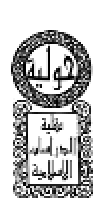


- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) تحقيق و تعليق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، و السيد عبد العال إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، دار الكتاب الإسلامي.
- تفسير البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: عادل عبد الموجود و آخرون، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ط: الأولى، ١٤١٤- ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
- جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، لبنان.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة: بدون ١٤٢٠ – ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية – بيروت.
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، حقق أصوله: مأمون شيحا، الطبعة: الثالثة ١٤٢٧ – ١٩٩٦م، دار المعرفة – بيروت.
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، الطبعة: بدون، دار صادر – بيروت.
- مراجعات في الإسرائيليات، نخبة من الباحثين، ط: الأولى، ١٤٣٦هـ، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- المستدرك للحاكم، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، مكتبة نزار الباز، المملكة العربية السعودية.



- مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، اعتنى به: فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار ابن حزم – بيروت.
- معجم الطبراني (الأوسط) تحقيق: شعيب الأرناؤوطي، دار الحرمين، القاهرة.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ضبطه: إبراهيم شمس الدين، الطبعة: الأولى ١٤١٨ – ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية – بيروت.





فهرس الموضوعات

المصادر والمراجع

